Sada Al-Jamiah Journal for Humanities (مجلة صدى الجامعة للعلوم الإنسانية)
Volume 4 - Issue 2 - 2026 - Pages 472-481
Website: https://oujournals.ly/index.php/sajh/index

Doubt, Certainty, and the Problem of Knowledge in Descartes

Marriam Ebrahim Mohammed*
Researcher - Teacher at Ahmed Yassin School, Al-Bayda, Al-Habl Al-Akhdar, Libya
* **Email (for reference researcher):** mariamalhase@gmail.com

الشك واليقين وإشكالية المعرفة عند ديكارت

مريم إبراهيم محمد*
باحثة - معلمة بمدرسة احمد ياسين ،البيضاء، الحبل الاخضر، ليبيا

تاريخ الاستلام: 31-03-2026، تاريخ القبول: 23-06-2026، تاريخ النشر 25-06-2026

Abstract
The issue of doubt and certainty is considered one of the most significant problems that occupied modern philosophy. René Descartes holds a prominent position in this field as one of the founders of rationalism. Descartes started from the necessity of rebuilding knowledge upon a firm foundation that is not subject to error or illusion. Therefore, he adopted the method of doubt as a critical tool aimed at examining the degree of certainty of the ideas and beliefs acquired by human beings. Cartesian doubt was not a final doubt or a denial of truth; rather, it was a temporary methodological doubt through which reason seeks to reach an unquestionable certainty.
Descartes began by doubting the senses because they can deceive human beings. He then moved to doubt some intellectual beliefs, reaching the hypothesis of the evil demon, which represents the highest level of doubt. However, this process led him to discover the first certain truth, namely the Cogito: “I think, therefore I am”, where he found that the existence of the thinking self is a truth that cannot be denied as long as thinking exists. From this first certainty, Descartes attempted to construct a complete system of knowledge based on reason and the clarity and distinctness of ideas.
Descartes’ philosophy demonstrates that doubt is not the opposite of certainty; rather, it may be the path that leads to it. Doubt transforms from a state of destroying previous knowledge into a means of establishing certain knowledge. Nevertheless, his philosophy raised critical debates concerning the limits of reason and the role of sensory experience in constructing knowledge, especially among empiricist philosophers who argued that knowledge cannot be based on reason alone.

Keywords: Methodological Doubt, Certainty, Cartesian Cogito, Rationalism, Epistemology.

الملخص
تُعد إشكالية الشك واليقين من أهم القضايا التي شغلت الفلسفة الحديثة، ويحتل رينيه ديكارت مكانة بارزة في هذا المجال باعتباره أحد مؤسسي النزعة العقلانية. انطلق ديكارت من ضرورة إعادة بناء المعرفة على أساس ثابت لا يخضع للخطأ أو الوهم، لذلك اعتمد منهج الشك باعتباره أداة نقدية تهدف إلى اختبار مدى يقين الأفكار والمعتقدات التي يكتسبها الإنسان. لم يكن الشك الديكارتي شكًا نهائيًا أو موقفًا منكرًا للحقيقة، بل كان شكًا منهجيًا مؤقتًا يسعى من خلاله العقل إلى الوصول إلى يقين لا يمكن الشك فيه.
بدأ ديكارت بالتشكيك في الحواس باعتبارها قد تخدع الإنسان، ثم انتقل إلى الشك في بعض المعارف العقلية، وصولًا إلى فرضية الشيطان الماكر التي تمثل أقصى درجات الشك. غير أن هذا المسار قاده إلى اكتشاف أول حقيقة يقينية، وهي الكوجيتو: "أنا أفكر إذن أنا موجود"، حيث وجد أن وجود الذات المفكرة حقيقة لا يمكن إنكارها ما دام التفكير قائمًا. ومن هذا اليقين الأول حاول ديكارت بناء نسق معرفي كامل يعتمد على العقل ووضوح الأفكار وتميزها.
تُظهر فلسفة ديكارت أن الشك ليس نقيضًا لليقين، بل قد يكون الطريق المؤدي إليه، إذ يتحول الشك من حالة هدم للمعارف السابقة إلى وسيلة لتأسيس معرفة يقينية. ومع ذلك، أثارت فلسفته نقاشات نقدية حول حدود العقل ودور التجربة الحسية في بناء المعرفة، خاصة لدى الفلاسفة التجريبيين الذين رأوا أن المعرفة لا تقوم على العقل وحده.

الكلمات المفتاحية: الشك المنهجي، اليقين، الكوجيتو الديكارتي، العقلانية، نظرية المعرفة.

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Sada Al-Jamiah Journal for Humanities (مجلة صدى الجامعة للعلوم الإنسانية)
Volume 4 - Issue 2 - 2026 - Pages 472-481
Website: https://oujournals.ly/index.php/sajh/index

المقدمـــــــة

القراءة الجدلية للفلسفة الديكارتية

أهمية فلســـفة ديكارت بصـــفة عامة قمت باختيار "المنهج الديكارتي" لعدة أســـباب أولها إن ديكارت كان من أهم وأعظم شخصيات الفلسفة الحديثة بصفة عامة وإن أفكاره لها تأثير في الفكر الحديث خاصة وثاني الأسباب إن ديكارت كان له تأثير بالغ في الفلسفة الحديثة

وثالثاً فهو يقوم على المنهج التحليلي والمنهج هو عبارة عن القواعد اليقينية البســيطة التي تضـــمن لمن يراعها بدقة من الصدق إلا نفترض الصدق فينما هو كاذب وأن يصل إلى علم صحيح لكل ما يمكن معرفته، ولقد اختار ديكارت أن يعيش حالة الشك لكي ينفذ إلى اليقين

قيل إن ديكارت هو الأب الروحي للفلسفة المثالية الحديثة نعم أنا أفكر إذاً أنا موجود"

قد اعتبرت واحدة من تلك اللمع الروحية التي تحدث عنها ديكارت وبواسـطتها يكتشـف من جديد نظرية الطبائع البسـيطة ،هي على سبيل المثال _الفكر والجوهر ،والإمتداد ،والوجود_ كانت القضية الأولى أو اليقين الأول الذي أخرجه من شكله المنهجي كما كان وجود الذات" بمثابة الحقيقة الأولى اليقينية التي تتعلق بها مراتب اليقين الأخرى ولقد اســتندت الفلســفات المثالية إلى نقطة البداية هذه للتدليل على مثالية الفلسفة الديكارتية إلا أن ذلك كان يثمن إهمالها للقسم السادس من المقال عن المنهج" والذي يعود ديكارت إلى العالم ويســتحث الهمم حتى يصــبح الإنســان ســيداً على الطبيعة ،وممتلكاً لها(جعفر ،1990،ص121)

لقد قبل ديكارت واقع العالم الخارجي وعرفة "بالامتداد" وهومن ثم يكون واقعيا إذا لم يكن الكوجيتو إلا بمثابة نقطة البدء فقط وهكذا كانت مثالية ديكارت وقتية وزائلة وقت تجاوزها الفيلسـوف عندما تكفل وجود إلا بضـمان وجود العالم الخارجي كما يظهر في الفترة الثانية والعشرين بالتأمل السادس ويذكر هاروش نصـاً مبكراً لديكارت يشير إلى اهتمامه بعالم الأشياء يقول:-كما إننا لا يمكن إن نكتب أي كلمة بأحرف تختلف عن إلا بجديات المعروفة وكما إننا لا يمكن أيضـــاً أن نكون حكماً تختلف كلماته عما يوجد في قواميس اللغة كذلك فإننا لا يمكن إن نكتب كتاباً تختلف أحكامه عما نجده في كتب أخرى غير أنه إذا كانت الأشياء التي اتمثلها تنسجم فيما بينها وتترابط بحيث يلزم بعضها عن البعض الاخر فإن هذا تأكيد على أنني لم أستعرها من اخرين ودليل أيضا على مأنني لم أستخلصها من قواميس اللغة .

ويظهر من عبارة ديكارت السابقة إن الكلمات الأكثر استخداما هي التي تحمل أشياء

العالم الخارجي كما انها تفترض وجود هذا العالم خارج أنفســنا أما اختراع الأفكار الجديدة فأنه يتوقف على نمط الكلام أو الكتابة كما يتوقف على انســجام الفكر وترابطه في نســق برهاني ،ومن المعروف إن التفكير الفلســفي يبدأ باللغة التي تقدم الفكر من خلال وسط ثقافي تجدد تاريخياً بفضل مراحل تاريخية سابقة أدت إليه.

وبوجه عام يرى التقدميون إن من الإنصـــاف لمن أراد أن يكون وفياً لنصـــوص ديكارت أل يقرأ هذه النصـــوص من منطلق الفلســفة المثالية إذا من المعروف ســلفاً أن الســياق الثقافي الذي يعيش فيه الفيلســوف في حقبة زمنية هو الذي يحتم مجال الاختيار لديه ففي خضم الإيديولوجيات السائدة في تلك الحقبة لا يكون نسقه الفلسفي إلا عنصراً

جديداً ضـــمن عناصـــر هذا الســـياق ومن المعروف كذلك إن هذا العنصـــر الجديد قد يجد نبراســـاً مؤكداً على طريق تقدم الفكر.(الشطي، 1977، ص104)

والماركسيون في قراءتهم لنصوص ديكارت لا يضعون في اعتبارهم مجرد الإشارة إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية فالاقتصاد لا يخلق أي شيء بطريقة تلقائية مباشرة بل يحدد نمط التغير والنمو في النسق الثقافي السائد والاقتصاد في تحديده أنماط التغير والنمو هذه إنما يمارس وظيفته بطريقة غير مباشـرة في الغائب خصـوصـاً وأن إشـكاليات السـياسـة والأخلاق وعلاقات السـلطة هي التي تمارس أكبر تأثير على الفلسـفة يحاول الماركسـيون إذن أن يكشـفوا عن الظروف الاجتماعية والإيديولوجية وعلاقة السلطة التي أدت إلى وضـع المفاهيم الأسـاسـية للفكر الديكارتي ،وهذه الدراسـة تكون مثمرة في نظرهم لو أنها انصـبت إن ليس فقط على الاعمال الأســاســية لديكارت مثل "التأملات في الفلســفة الأولى " والمقال عن المنهج" بل حبذا لو تناولت كذلك تحليل مراسلات ديكارت وأيضـاً ما أنبثق عنها من دراسات وتعليقات ويرى الماركسيون إن الشـارح المثالي الذي يقتصـر على مجهود ذاتي في فهمه للنصـوص إنما يحرم الفلسـفة من القاعدة الأسـاسـية التي تغذيها وهي التاريخ فهو يرى في نفسه بداية مطلقة كما يستبيح مناجاة الأموات من خلال مجال مغلف لفكر ناقد فضولي ومتسائل لم يكن هذا حال الباحث الفرنسـي مارسـيل جيرو في دراسـته عن ديكارت وإحداث زمانه ويظهر من عنوان الكتاب إن جيرو يتناول المذهب الديكارتي من خلال مسيرة التاريخ ويقول في الدفاع عن منهجه التاريخي :-

إن الحقيقة التاريخية واضـحة للعيان ومع ذلك فهناك من يهملون كتب التاريخ إذا كانت تتعارض مع أهوائهم وقد يضـطرون إلى طمس محتوياتها إرضـاء لرغباتهم ومن أمثلة أولئك الذين يتغافلون عن التاريخ يشير جيرو إلى مالبرانش الذي يجعل من

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Sada Al-Jamiah Journal for Humanities (مجلة صدى الجامعة للعلوم الإنسانية)
Volume 4 - Issue 2 - 2026 - Pages 472-481
Website: https://oujournals.ly/index.php/sajh/index

القديس أوغسطين ديكارتياً ومن ديكارت أوغسطينياً من خلال دراسة ذاتية و مقارنة للنصوص كما يشير جيرو أيضاً النسق هاملان وكتابة نسق ديكارت فقد أراء هاملان أن يجهد النص الديكارتي ويحمله مالا يطبق فاسند إليه فلسفة للعلاقة أو فلسفة للذات اي أنه أراد أن يسند للفيلسوف ديكارت ما إليه اتجاهه هو الإيديولوجي والفلسفي.(بلدي،1987،ص21)

ولاحظ جيرو كذلك إن ليون برانشفيك في كتابه مراحل الفلسفة الرياضية قد انتهى إلى أنه اكتشف وحدة النفس الإنسانية من خلال ممارسة الجبر في حين إن وحدة النفس الإنسانية يكتشفها ديكارت في الكوجيتو باعتباره قانوناً لكل فكر سليم.

والفيلسوف هرلي في كتابه" تأملات ديكارتيه" يكون صورة لديكارت باعتباره بطلاً للتأمل الذاتي الذي يهدف للوصول إلى حقيقة أولى واضـــحة وكان ذلك انطلاقاً من الخصـــائص التي تميز بها الفكر الفينومينولوجي عند هرلي ورأى كارل فيلســـوف الوجودية إن مؤلف كتاب (المقال عن المنهج)كان شـــيطانا ماكراً للزمن الحديث لأنه اعتقد في عمومية أفكار واضحة وكاد يربط نهائياً بين مصير الفكر وبين الرياضة الكلية.(خوري ،1999،ص1-10)

وفي خضم هذا الحشد من التفسيرات لفلسفة ديكارت ما الذي يمكن أن نأخذ به أو نرفضه ؟ ألا ينبغي أن نتجنب الفهم الأوحد الصائب باعتباره وهماً ؟ أليست الفلسفة انفتاحاً للفكر بكامل حريته يرى أصحاب القراءة الجدلية للفلسفة الديكارتية أن الباحث عليه أن يتساءل لم كانت فلسفة ديكارت فاتحة العصر الحديث؟ ولم كانت علامة على بداية هذا العصر؟ إلى أي حد ساهمت الفلسفة في تكوين روح عصر النهضة وإلى أي حد تجاوزت العصر وإلى أي حد تجاوزت العصر وأرست دعائم فلسفة حقيقية للطبيعة؟ لمن وجه ديكارت رسالته عن تحرر العقل؟

إن ديكارت لم يكن مفكراً منعزلاً ولم يكن ميتافيريقاً يعيش في برج عاجي لقد توجه بتعاليمه إلى عامة المثقفين البسطاء أولاً ثم إلى المتخصصين بعد ذلك فهو يكتب المقال عن المنهج باللغة الفرنسية لكي يفهمه كل من يستخدم الحس المشترك كما أنه كتب باللغة اللاتينية عندما أراد أن يخاطب المتخصصين وهو ينشر ترجمات فرنسية لمؤلفاته اللاتينية عندما رأى إمكانية عرض أفكاره على البسطاء والمتخصصين في نفس الوقت وكان ديكارت في كتاباته يلجأ إلى أساليب عديدة يصل بها إلى قرائه فهو أحياناً يلجأ إلى عرض سيرته الذاتية كي يقترب من نفوسا القراء كما كان يلجأ إلى التأملات وهي مناجاة للروح وخوض في الميتافيزيقا في معظم الأحيان كان اسلوبه تقريرياً يقترب من النسق الهندسي وكثيراً ما ينزل إلى مستوى الكتاب المدرسي والمراسلات والتعليقات والجدل .(لوقا،1619)

(كان ديكارت يؤدي الخدمة العسكرية ضمن جيوش دوق بأفاريا وكان عمره آنذاك ثلاثاً وعشرين عاماً وفي طريق عودته من حفل تتويج الامبراطور فردينا ند الثاني ،ألجأه برد الشـــتاء إلى إحدى القرى الألمانية على نهر الدانوب وفي ليلة باردة جداًفي الخارج ودافئة جداً غرفته في ليلة 10 نوفمبر ســـنة 1916 تراءى له وهوبين اليقظة والنوم مشـــروع كبير عرف فيما بعد حلم ديكارت العظيم وكان هذا المشروع هو أساس فلسفته كلها فقد فسر ديكارت هذا الحلم في اليوم التالي على أنه رسالة ومن روح الحقيقة التي وعدته بأن تفتح له خزائن العلوم جميعاً وفي الايام التالية صلى لله وأخرى للعذراء ونذر نذراً يحج إلى نوترام دي لوريت أقدم الأماكن المقدسة في إيطاليا وأحبها إلى الكاثوليك .

يقول عثمان أمين: تلك لعمري مقدمة عجيبة للفلسفة الحديثة وهي ربما كانت عجيبة لأنها فلسفة عقلية ويقول موريس يوقيبه أن تلك الليلة كانت خمر ومجون ونقل موريس عن أدريان بابيه أول كتاب لمسيرة ديكارت أن الضـابط الشـاب قد احتسـى من الخمر بغير حساب في تلك الليلة على عكس ما روى ديكارت عن اعتكافه وانشغاله في وحدته بالتأمل.

وإذا صـح أن ديكارت قد اختلط في أحلامه صـوت الرعد بصـور عن بريق الصـواعق أو أجراس الكنائس فإنه مع هدوء الصـباح يقرر بأنه قد تلقى في منامه كشـفاً عن مسـتقبل أبحاثه وأنه مطالب بإقامة بناء جديد للمعرفة الإنسـانية ومن ثم فإنه مطالب أيضـا بتطبيق الشـك المنهجي على كل المعارف السـابقة حتى يتم له بعد ذلك الكشـف عن سـر الكون وسـر الحياة بواسطة الاستدلال الرياضـي ،ويرى بوقيبه أنه لا غرابة في أن ينشـغل العقل الباطن عند ديكارت بتعميم التحليل الرياضـي على سـائر أنماط المعرفة البشـرية خصـوصـا وأنه عالم رياضـي قد ولكن الغرابة في اصـراره على عرض منهجه باعتباره ثمرة كشـف والهام خاص من قبل الإله الذي اختاره لإقامة البناء الجديد غير أن هذا الإصـرار لا يخلو من دلالة إذا به يظهر الملحد الذي يخفي إلحاده وكأنه مؤمن لايتزعزع إيمانه رغم اصـطناعه منهج الشـك إلى أقصـى درجة ممكنة والحقيقة إن ديكارت لم يكن يخشـى ان يتهم بالإلحاد بل خشـى على وجه الخصـوص إن يتهم شـكه المنهجي بأنه مناهض لعقيدة الوحي وهو لهذا كان حريصا

كما رأينا على أن يظهر متمتعاً هو الآخر بكشـف مقدس ولاحظ بوسـيه المعاصـر لديكارت أن فيلسـوفاً كان قلقاً أكثر من اللازم بخصـوص ما يمكن أن تضـمره له الكنيسـة وكان مسـرفاً في الحيطة لمواجهة أي تطورات وكان يردد عبارة أبيقور السـعيد من عاش متخفياً :- يقول بوسـويه إن ديكارت خشـى دائماً أن تؤاخذه الكنيسـة وقد اتخذ لهذا من الاحتياطات ما يعد إسـرافاً ويرى الأسـتاذ ج .ف .ريفل أن أقاده ديكارت في دولة بروتسـتانتية في هولاند ابتداء من سـنة 1629 لا يفسـر قلقه وخوف من اضـطهاد الكنيسـة الكاثوليكية كما زعم البعض لأنه كان يثق في موافقة الكنيسـة على ما طرحه من قضـايا ميتا

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

فيزيقية وعندما عوقب جاليليو لقوله بدوران الأرض حول الشـــمس كان في ذلك متفقاً معا لانقلاب الذي أجراه كوبرنيق في علم الفلك قبل ما يقرب من قرن من الزمان توقف ديكارت عن نشـر كتابه (رسـالة عن العالم)لأنه كان مسـانداً هو الآخر للثورة الكوبرنيقية ،ولم يكن توقفه عن النشر خشية الوقوع من براثن المتعصبين فإقامته في الدولة البروتستانتية تحقق له الحماية بل خشية الإدانة والتطاول عليه بحق أو بغير حق فقد كان ديكارت معتدلاً برايه ومعتزاً بشخصيته

لم يكن ديكارت يعيش في المنفى إذن لأنه أثر السلامة ،فهل من تفسـي آخر لاعتزاله؟ يقول عثمان أمين:- نحن نعلم إن الجو العقلي في باريس كان مما لا يطيقه الفيلسـوف ويستند عثمان أمين إلى عبارة لديكارت يقول فيها :- لاشـي أشد تعارضـا مع رغباتي من جو باريس بسبب الملهيات الكثيرة التي لا حصـر لها والتي لا يمكن تفاديها ،ويقول الفيلسوف لينبز مازحاً :- إن ديكارت هاجر من باريس حتى لا يرى وجه رو برقال.

إشكالية البحث

تتمحور إشكالية هذا البحث حول العلاقة بين الشك واليقين في فلسفة رينيه ديكارت، والطريقة التي حاول من خلالها تأسيس المعرفة الإنسانية على قواعد عقلية ثابتة لا تقبل الخطأ أو الشك. فقد اتخذ ديكارت من الشك المنهجي وسيلةً لنقد المعارف الموروثة واختبار مدى صحتها، وليس غايةً نهائية تؤدي إلى إنكار إمكان الوصول إلى الحقيقة.

وانطلاقًا من ذلك، يسعى البحث إلى الإجابة عن الإشكالية الرئيسة الآتية:

كيف انتقل ديكارت من الشك المنهجي إلى تأسيس اليقين المعرفي؟ وإلى أي مدى استطاع العقل وحده بناء معرفة يقينية؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية عدد من التساؤلات الفرعية:

ما المقصود بالشك المنهجي عند ديكارت، وما خصائصه؟

ما المراحل التي مر بها الشك الديكارتي؟

كيف توصل ديكارت إلى حقيقة الكوجيتو: «أنا أفكر، إذن أنا موجود»؟

ما الدور الذي أدّاه العقل في تأسيس المعرفة اليقينية؟

ما حدود المشروع الديكارتي في الانتقال من يقين الذات إلى يقين العالم الخارجي؟

هل نجح ديكارت في تجاوز الشك بصورة نهائية، أم بقيت بعض جوانب فلسفته محل نقد واعتراض؟

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من المكانة المركزية التي يحتلها رينيه ديكارت في تاريخ الفلسفة الحديثة، إذ أسهم مشروعه الفلسفي في إحداث تحول عميق في دراسة المعرفة، من خلال جعل العقل والذات المفكرة نقطة البداية في البحث عن الحقيقة.

وتتمثل أهمية البحث فيما يأتي:

إبراز دور ديكارت في تأسيس الفلسفة الحديثة والاتجاه العقلاني.

توضيح العلاقة بين الشك والحقيقة في المشروع الفلسفي الديكارتي.

بيان أهمية الشك المنهجي بوصفه أداةً لنقد المعارف والمعتقدات غير اليقينية.

التعريف بمكانة الكوجيتو في تأسيس اليقين المعرفي.

الكشف عن دور العقل في بناء المعرفة وفق التصور الديكارتي.

توضيح الإشكالات والنقد الذي وُجّه إلى محاولة ديكارت تأسيس المعرفة على العقل وحده.

الإسهام في فهم التحول من الفلسفة الوسيطة القائمة على المرجعيات الموروثة إلى الفلسفة الحديثة القائمة على الذات والعقل.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق ما يأتي:

تحليل مفهوم الشك المنهجي في فلسفة رينيه ديكارت.

بيان الدوافع التي أدت بديكارت إلى الشك في المعارف الحسية والعقلية السابقة.

دراسة مراحل الشك الديكارتي، بدءًا من الشك في الحواس وصولًا إلى فرضية الشيطان الماكر.

تحليل مفهوم اليقين عند ديكارت وبيان شروط المعرفة اليقينية.

توضيح مكانة الكوجيتو بوصفه أول حقيقة يقينية في المشروع الديكارتي.

دراسة دور الأفكار الواضحة والمتميزة في تأسيس المعرفة.

بيان دور العقل في الانتقال من يقين الذات إلى إثبات وجود الله والعالم الخارجي.

الكشف عن حدود المشروع المعرفي الديكارتي وأبرز الاعتراضات الموجهة إليه.

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Sada Al-Jamiah Journal for Humanities (مجلة صدى الجامعة للعلوم الإنسانية)
Volume 4 - Issue 2 - 2026 - Pages 472-481
Website: https://oujournals.ly/index.php/sajh/index

تقييم مدى نجاح ديكارت في بناء نسق معرفي قائم على اليقين العقلي.

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي والمنهج النقدي، وذلك لملاءمتهما لطبيعة الموضوع الفلسفي محل الدراسة.

أولًا: المنهج التحليلي:

يُستخدم المنهج التحليلي في دراسة النصوص الفلسفية لرينيه ديكارت، وخاصة مؤلفاته التي تناولت قضايا الشك واليقين والمعرفة، بهدف تحليل مفاهيم الشك المنهجي، والكوجيتو، والعقل، واليقين، والكشف عن الأسس التي بُني عليها المشروع المعرفي الديكارتي، وبيان كيفية انتقاله من هدم المعارف غير اليقينية إلى تأسيس معرفة قائمة على مبادئ عقلية ثابتة.

ثانيًا: المنهج النقدي:

يُستخدم المنهج النقدي لتقييم التصور الديكارتي للمعرفة، من خلال مناقشة حدود الشك المنهجي، ومدى قدرة العقل وحده على الوصول إلى الحقيقة، بالإضافة إلى عرض أبرز الاعتراضات التي وُجهت إلى فلسفة ديكارت، وبيان نقاط القوة والقصور في مشروعه الفلسفي.

المبحث الأول: مفهوم الشك في فلسفة ديكارت.

المطلب الأول: نشأة الشك الديكارتي ودوافعه.

يُعد الشك الديكارتي أحد أهم الأسس التي قامت عليها الفلسفة الحديثة، إذ مثّل محاولة لإعادة بناء المعرفة الإنسانية على أساس يقيني ثابت بعد أن شعر ديكارت بوجود اضطراب في المعارف التي تلقاها من الفلسفة التقليدية والعلوم السائدة في عصره. ولم يكن الشك عند ديكارت شكًا هدّامًا أو غاية في ذاته، بل كان وسيلة منهجية مؤقتة تهدف إلى الوصول إلى حقيقة لا يمكن للعقل أن ينكرها. فقد رأى أن الوصول إلى اليقين يتطلب أولًا التخلص من كل الأفكار التي يمكن أن يتطرق إليها الاحتمال أو الخطأ، ثم إعادة تأسيس المعرفة على مبادئ واضحة ومتميزة (Descartes, 1641/1996).

نشأ الشك الديكارتي في سياق فكري اتسم بأزمة الثقة في المناهج المعرفية التقليدية، حيث لم تعد السلطة الفكرية الموروثة، وخاصة الفلسفة المدرسية القائمة على تفسير أرسطو، قادرة على تقديم إجابات يقينية لجميع التساؤلات الفلسفية والعلمية. وقد انتقد ديكارت اعتماد المعرفة على مجرد النقل والتقليد، مؤكدًا أن العقل يجب أن يكون المرجع الأساسي للحكم على صحة الأفكار، لا مجرد شيوعها أو ارتباطها بسلطة قديمة (Cottingham, 1986).

ومن أبرز دوافع الشك عند ديكارت نقد المعارف التقليدية؛ فقد لاحظ أن الإنسان يتلقى منذ طفولته عددًا كبيرًا من الآراء والمعتقدات دون أن يقوم بفحصها عقليًا، الأمر الذي يؤدي إلى اختلاط الحقيقة بالوهم. لذلك دعا إلى إخضاع جميع المعارف السابقة لاختبار الشك، وعدم قبول أي فكرة إلا إذا امتلك العقل دليلًا واضحًا على صدقها. وقد عبّر عن ذلك في كتابه مقال عن المنهج عندما وضع قاعدة أساسية تقوم على عدم قبول أي شيء على أنه حقيقة ما لم يكن واضحًا للعقل بصورة لا تدع مجالًا للشك (Descartes, 1637/1998).

كما ارتبط الشك الديكارتي برفض المسلّمات غير المؤكدة، خاصة المعارف القائمة على الحواس؛ فقد اعتبر ديكارت أن الحواس قد تخدع الإنسان في بعض الحالات، وبالتالي لا يمكن جعلها أساسًا مطلقًا للمعرفة اليقينية. فالأشياء التي تبدو لنا صحيحة من خلال الإدراك الحسي قد تكون مختلفة عن حقيقتها، كما يحدث في حالات الوهم أو الحلم. ولهذا رأى أن المعرفة الحسية تحتاج إلى أساس أكثر ثباتًا من مجرد التجربة المباشرة (Hatfield, 2003).

ولم يقتصر شك ديكارت على الحواس فقط، بل امتد إلى بعض المبادئ العقلية نفسها من خلال فرضية "الشيطان الماكر"، وهي تجربة فكرية افترض فيها إمكانية وجود قوة خادعة تجعل الإنسان يخطئ حتى في أبسط العمليات العقلية. وكان الهدف من هذه الفرضية الوصول إلى أقصى درجات الشك من أجل اكتشاف حقيقة لا يمكن لأي شك أن ينال منها (Kenny, 1968). وقد قاد هذا المسار الشكي ديكارت إلى اكتشاف أول حقيقة يقينية، وهي حقيقة الكوجيتو: "أنا أفكر إذن أنا موجود"، حيث وجد أن فعل الشك نفسه يتطلب وجود ذات مفكرة تقوم بهذا الفعل. ومن هنا أصبح الشك وسيلة للوصول إلى اليقين، وليس عائقًا أمام المعرفة، مما جعل ديكارت أحد أبرز مؤسسي النزعة العقلانية في الفلسفة الحديثة (Ariew, 2014).

المطلب الثاني: مراحل الشك المنهجي

يُعد الشك المنهجي عند رينيه ديكارت مشروعًا عقليًا منظمًا مرّ بعدة مراحل متدرجة، هدفها الوصول إلى معرفة يقينية لا يمكن أن يطالها الشك. فلم يكن ديكارت يسعى إلى إثبات استحالة المعرفة، وإنما أراد استخدام الشك كأداة نقدية لتصفية العقل من الأفكار غير الموثوقة، والوصول إلى مبدأ أول يمكن بناء المعرفة عليه. وقد عرض ديكارت مراحل هذا الشك بصورة

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

واضحة في كتابيه "مقال عن المنهج" و"التأملات في الفلسفة الأولى"، حيث بدأ بالشك في مصادر المعرفة الخارجية، ثم انتقل إلى مستويات أكثر عمقًا من الشك العقلي (Descartes, 1637/1998).

تمثلت المرحلة الأولى في الشك في الحواس، حيث انطلق ديكارت من ملاحظة أن الحواس الإنسانية ليست دائمًا مصدرًا موثوقًا للمعرفة، فهي قد تخدع الإنسان في بعض الظروف. فالإنسان قد يرى الأشياء بطريقة تختلف عن حقيقتها بسبب بُعد المسافة أو ضعف الإدراك أو تأثير الظروف المحيطة. وبما أن الحواس قد خدعتنا في بعض الأحيان، رأى ديكارت أنه لا يمكن الاعتماد عليها بوصفها أساسًا مطلقًا لليقين. ومع ذلك، لم ينكر ديكارت قيمة التجربة الحسية بشكل كامل، بل رفض فقط اعتبارها المصدر النهائي للحقيقة (Cottingham, 1986).

أما المرحلة الثانية فهي الشك في الأحلام، وهي مرحلة أكثر عمقًا من الشك؛ إذ تساءل ديكارت عن المعيار الذي يميز بين حالة اليقظة والحلم. فالإنسان أثناء الحلم يعتقد أنه يعيش أحداثًا حقيقية، رغم أنها ليست موجودة في الواقع. ومن هنا رأى ديكارت أن الخبرة الحسية نفسها قد تكون موضع شك، لأن الإنسان قد لا يستطيع دائمًا التأكد من أن إدراكاته الحالية ليست مجرد أوهام أو صور ذهنية ناتجة عن الحلم. وقد أدى هذا النوع من الشك إلى زعزعة الثقة في المعارف التي تعتمد على الإدراك المباشر للعالم الخارجي (Hatfield, 2003).

ثم وصل ديكارت إلى المرحلة الثالثة والأكثر تطرفًا، وهي فرضية الشيطان الماكر، حيث افترض وجود قوة خادعة تمتلك قدرة هائلة على تضليل العقل وجعله يخطئ حتى في الأمور التي تبدو أكثر وضوحًا، مثل العمليات الرياضية أو المبادئ العقلية البسيطة. ولم يكن ديكارت يؤمن بوجود هذه القوة فعليًا، وإنما استخدمها كتجربة فكرية تهدف إلى الوصول بالشك إلى أقصى حد ممكن، بحيث لا يبقى للعقل إلا البحث عن حقيقة لا يمكن لأي خداع أن ينال منها (Descartes, 1641/1996).

وقد كشفت هذه المراحل الثلاث أن ديكارت لم يستخدم الشك بوصفه نهاية للبحث الفلسفي، بل جعله طريقًا للوصول إلى اليقين. فبعد أن شك في الحواس والأحلام وحتى المبادئ العقلية، اكتشف أن هناك حقيقة واحدة لا يمكن الشك فيها، وهي وجود الذات المفكرة؛ لأن فعل الشك ذاته دليل على وجود من يقوم بالتفكير. ومن هنا ظهر مبدأ الكوجيتو: "أنا أفكر إذن أنا موجود"، الذي أصبح الأساس الأول للفلسفة الديكارتية ومشروعها في تأسيس المعرفة على العقل (Kenny, 1968).

المبحث الثاني: تأسيس اليقين عند ديكارت

المطلب الأول: الكوجيتو بوصفه أول حقيقة يقينية

يمثل الكوجيتو (*Cogito*) نقطة التحول الأساسية في فلسفة رينيه ديكارت، إذ شكّل النتيجة الأولى التي توصل إليها بعد تطبيقه لمنهج الشك، والأساس الذي أراد أن يبني عليه صرح المعرفة اليقينية. فبعد أن أخضع ديكارت جميع المعارف السابقة للشك، بما في ذلك المعارف الحسية وبعض المبادئ العقلية، بحث عن حقيقة لا يمكن لأي قوة خارجية أو داخلية أن تنال منها. وقد وجد هذه الحقيقة في فعل التفكير ذاته، حيث أدرك أن الشك نفسه يتطلب وجود ذات تقوم بعملية الشك والتفكير (Descartes, 1641/1996).

ويعبّر ديكارت عن هذه الحقيقة بالعبارة الشهيرة: "**أنا أفكر إذن أنا موجود**(*Cogito, ergo sum*) "، ومعناها أن وجود الإنسان لا يثبت أولًا من خلال جسده أو علاقته بالعالم الخارجي، وإنما من خلال وعيه بذاته أثناء ممارسة التفكير. فحتى لو افترض الإنسان أن جميع أفكاره خاطئة أو أن العالم الخارجي مجرد وهم، فإن وجوده كذات مفكرة يبقى حقيقة لا يمكن إنكارها؛ لأن عملية الشك ذاتها دليل على وجود من يقوم بها.(Descartes, 1637/1998)

ولا يقصد ديكارت بعبارة "أنا أفكر" التفكير بمعناه الضيق فقط، بل يشمل كل الأفعال العقلية الواعية مثل الشك، والفهم، والتصور، والإرادة، والإحساس الداخلي. ولذلك فإن الذات عند ديكارت تُعرّف باعتبارها **ذاتًا مفكرة** (*Res Cogitans*)، أي أن جوهر الإنسان الأساسي هو قدرته على التفكير والوعي، وليس مجرد وجوده الجسدي. وقد منح هذا التصور مكانة مركزية للذات في الفلسفة الحديثة، إذ أصبحت الذات العارفة نقطة البداية في البحث عن الحقيقة والمعرفة.(Cottingham, 1986)

وتكمن أهمية الكوجيتو في أنه يمثل أول يقين مباشر لا يحتاج إلى برهان خارجي، فهو ليس نتيجة استدلال طويل، بل إدراك عقلي مباشر تكتشف فيه الذات وجودها أثناء فعل التفكير. ومن هنا أصبح الكوجيتو النموذج الذي حاول ديكارت من خلاله بناء نظام معرفي قائم على العقل، حيث ينتقل من يقين الذات إلى البحث عن ضمانات أخرى للمعرفة، مثل إثبات وجود الله والعالم الخارجي.(Kenny, 1968)

ومع ذلك، فقد أثار الكوجيتو عددًا من النقاشات الفلسفية، إذ رأى بعض النقاد أن ديكارت انتقل بسرعة من إثبات وجود التفكير إلى إثبات وجود "الأنا" باعتبارها جوهرًا ثابتًا. فقد اعترض الفيلسوف ديفيد هيوم لاحقًا على فكرة وجود ذات ثابتة خلف الخبرات العقلية، معتبرًا أن الإنسان لا يدرك إلا سلسلة من الانطباعات والأفكار المتغيرة .(Hume, 1739/2000) ومع ذلك، يبقى الكوجيتو أحد أهم الإنجازات الفلسفية التي أسست لمفهوم الذات والوعي في الفكر الحديث.

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Sada Al-Jamiah Journal for Humanities (مجلة صدى الجامعة للعلوم الإنسانية)
Volume 4 - Issue 2 - 2026 - Pages 472-481
Website: https://oujournals.ly/index.php/sajh/index

المطلب الثاني: معايير اليقين: الوضوح والتميز

بعد أن توصل ديكارت إلى حقيقة الكوجيتو، حاول وضع معيار عام يمكن بواسطته التمييز بين المعرفة الصحيحة والمعرفة الخاطئة، فاعتبر أن معيار اليقين يتمثل في امتلاك الأفكار لصفتي **الوضوح والتميز** .ويقصد بالوضوح أن تكون الفكرة حاضرة أمام العقل بصورة مباشرة ومكشوفة دون غموض، أما التميز فيعني أن تكون الفكرة منفصلة عن غيرها من الأفكار بحيث يدرك العقل عناصرها بصورة دقيقة.(Descartes, 1641/1996)

وقد جعل ديكارت هذا المعيار أساسًا للحكم على صدق المعرفة؛ فكل فكرة يدركها العقل بوضوح وتميز يمكن قبولها باعتبارها حقيقة يقينية. ويرتبط هذا المبدأ بطبيعة العقل عند ديكارت، إذ يرى أن العقل يمتلك القدرة على إدراك المبادئ الأولى التي لا تحتاج إلى الاعتماد على التجربة الحسية، بل تُكتشف بواسطة التأمل العقلي. ولهذا احتلت الرياضيات مكانة نموذجية في فلسفته، لأنها تعتمد على مبادئ واضحة يدركها العقل بصورة مباشرة.(Hatfield, 2003)

وتظهر أهمية الأفكار الواضحة والمتميزة في أنها تمثل القاعدة التي أراد ديكارت من خلالها إعادة بناء العلوم والمعارف. فبعد رفضه للمعارف غير المؤكدة، لم يكن هدفه ترك الإنسان في حالة شك دائم، بل تأسيس منهج يسمح بالوصول إلى نتائج صحيحة. ولذلك اعتبر أن العقل المنظم وفق قواعد المنهج قادر على إنتاج معرفة يقينية تتجاوز أخطاء الحواس والتقاليد (Descartes, 1637/1998).

ويحتل العقل مكانة محورية في المشروع الديكارتي، إذ لم يعد مجرد أداة لفهم المعرفة الموجودة، بل أصبح مصدرًا أساسيًا لإنتاج المعرفة. فالعقل، وفق ديكارت، يستطيع من خلال الاستنباط والترتيب المنهجي الانتقال من المبادئ البسيطة إلى الحقائق الأكثر تعقيدًا. ولهذا وضع قواعد للمنهج تقوم على البداهة، والتحليل، والتركيب، والمراجعة، بهدف ضمان سلامة التفكير والوصول إلى نتائج صحيحة.(Cottingham, 1986)

ومع ذلك، واجه معيار الوضوح والتميز بعض الانتقادات، خاصة فيما يتعلق بكيفية ضمان عدم وقوع العقل نفسه في الخطأ عند اعتقاده أن فكرة ما واضحة ومتميزة. وقد ناقش عدد من الفلاسفة هذه المشكلة، معتبرين أن معيار ديكارت يحتاج إلى أساس إضافي يضمن موثوقية العقل. ومع ذلك، فقد ظل مفهوم الوضوح والتميز من أهم المفاهيم التي أثرت في تاريخ نظرية المعرفة الحديثة.(Ariew, 2014)

المناقشة والتحليل

تُعد قضية العلاقة بين الشك واليقين من أكثر القضايا إثارة للنقاش في فلسفة ديكارت، إذ يطرح مشروعه سؤالًا أساسيًا حول مدى قدرة المنهج الشكي على الوصول إلى معرفة يقينية، وحول إمكانية بناء المعرفة اعتمادًا على العقل وحده بعيدًا عن الخبرة الحسية. وقد أحدث المشروع الديكارتي تحولًا كبيرًا في تاريخ الفلسفة، لكنه في الوقت نفسه أثار اعتراضات قوية، خاصة من الاتجاه التجريبي الذي رأى أن المعرفة الإنسانية لا يمكن فصلها عن التجربة.

أولًا: هل يؤدي الشك الديكارتي فعلًا إلى اليقين؟

يهدف الشك الديكارتي إلى الوصول إلى اليقين وليس إلى إنكاره، فالشك عند ديكارت ليس شكًا مذهبياً دائمًا، وإنما هو أداة منهجية تهدف إلى تنقية العقل من الأفكار غير الموثوقة. ومن خلال إخضاع جميع المعارف للشك، توصل ديكارت إلى حقيقة اعتبرها غير قابلة للنقض، وهي حقيقة الكوجيتو: "أنا أفكر إذن أنا موجود". فحتى إذا شك الإنسان في كل شيء، فإن فعل الشك ذاته يثبت وجود ذات مفكرة تمارس هذا الفعل (Descartes, 1641/1996).

ومن هذه الزاوية يمكن القول إن الشك الديكارتي نجح في تحقيق هدفه الأساسي، لأنه لم ينتهِ إلى موقف منكر للمعرفة، بل أدى إلى تأسيس أول يقين معرفي. إلا أن بعض الفلاسفة رأوا أن الانتقال من يقين التفكير إلى إثبات وجود ذات ثابتة يظل محل إشكال؛ لأن ديكارت افترض وجود "الأنا" باعتبارها جوهرًا مفكرًا دون أن يقدم برهانًا كافيًا على طبيعة هذا الجوهر (Kenny, 1968).

ثانيًا: هل العقل قادر على بناء المعرفة بعيدًا عن التجربة؟

يرى ديكارت أن العقل يمتلك القدرة على الوصول إلى بعض الحقائق الأساسية بصورة مستقلة عن التجربة الحسية، ولذلك يُعد من أبرز ممثلي النزعة العقلانية. فقد اعتبر أن المعرفة اليقينية تقوم على مبادئ عقلية واضحة ومتميزة، وأن الرياضيات مثال نموذجي على قدرة العقل على إنتاج معرفة ثابتة لا تعتمد على الحواس (Cottingham, 1986).

لكن هذا التصور واجه نقدًا من الفلاسفة التجريبيين الذين أكدوا أن العقل لا يستطيع إنتاج معرفة حقيقية بمعزل عن الخبرة. فالمعرفة الإنسانية، وفق هذا الاتجاه، تبدأ من التجربة الحسية، وأن الأفكار التي يمتلكها الإنسان تنشأ من تفاعله مع العالم الخارجي.

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

ثالثًا: نقد التجريبيين لمشروع ديكارت

يُعد جون لوك من أبرز منتقدي التصور العقلي الديكارتي، حيث رفض فكرة وجود أفكار فطرية مستقلة عن التجربة. ففي كتابه "مقالة في الفهم الإنساني" أكد لوك أن العقل عند ولادة الإنسان يشبه "صفحة بيضاء" (Tabula Rasa)، وأن جميع الأفكار والمعارف تأتي من الإحساس والتأمل في الخبرات العقلية الناتجة عنهما (Locke, 1689/1975). وبذلك رفض لوك إمكانية تأسيس المعرفة على العقل وحده، معتبرًا أن التجربة هي المصدر الأساسي للأفكار.

أما ديفيد هيوم فقد ذهب في نقده للتصور العقلي إلى مدى أبعد، إذ رأى أن المعرفة البشرية تقوم على الانطباعات الحسية والتجارب المتكررة، وأن العقل لا يستطيع تجاوز حدود الخبرة. كما انتقد فكرة السببية التي اعتمد عليها الفكر العقلي، موضحًا أن الإنسان لا يدرك علاقة ضرورية بين الأحداث، وإنما يلاحظ فقط تتابعها المعتاد (Hume, 1739/2000).

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن المشروع الديكارتي حقق نجاحًا كبيرًا في إعادة الاعتبار للعقل وجعل الذات مركزًا للمعرفة، لكنه واجه حدودًا واضحة عندما حاول تفسير المعرفة الإنسانية كلها انطلاقًا من مبادئ عقلية خالصة. وقد ساهم الجدل بين العقلانية والتجريبية في تشكيل مسار الفلسفة الحديثة، حيث أصبح السؤال حول مصدر المعرفة وطبيعتها من أهم القضايا الفلسفية التي استمرت بعد ديكارت.

النتائج

توصل البحث من خلال دراسة مفهوم الشك واليقين في فلسفة رينيه ديكارت إلى مجموعة من النتائج الأساسية التي توضح طبيعة المشروع الديكارتي في مجال المعرفة، ويمكن عرضها على النحو الآتي:

أن الشك عند ديكارت ليس غاية في ذاته، وإنما هو وسيلة منهجية للوصول إلى الحقيقة.

فقد استخدم ديكارت الشك من أجل فحص المعارف السابقة والكشف عن مدى ثباتها، ولم يكن هدفه الوصول إلى حالة دائمة من عدم اليقين، بل الوصول إلى معرفة تقوم على أساس ثابت لا يمكن الشك فيه. لذلك يمثل الشك الديكارتي مرحلة انتقالية ضرورية نحو بناء اليقين المعرفي (Descartes, 1641/1996).

أن الكوجيتو يمثل نقطة الانطلاق الأولى في تأسيس المعرفة اليقينية عند ديكارت.

فبعد أن شك ديكارت في الحواس والأحلام وحتى المبادئ العقلية، اكتشف أن هناك حقيقة لا يمكن إنكارها، وهي وجود الذات المفكرة؛ لأن فعل التفكير أو الشك يثبت وجود من يقوم به. ومن هنا أصبح مبدأ "أنا أفكر إذن أنا موجود" الأساس الأول الذي انطلق منه ديكارت لإعادة بناء المعرفة (Cottingham, 1986).

أن ديكارت جعل العقل المصدر الأساسي للمعرفة اليقينية.

فقد أكد أن المعرفة الصحيحة لا تقوم على التقليد أو الخبرة الحسية وحدها، وإنما تعتمد على قدرة العقل على إدراك الأفكار الواضحة والمتميزة. وبذلك أسهم في تأسيس الاتجاه العقلاني في الفلسفة الحديثة، الذي يرى أن للعقل دورًا أساسيًا في الوصول إلى الحقائق الكلية والثابتة (Hatfield, 2003).

أن معيار الوضوح والتميز يمثل الأساس المنهجي للحكم على صحة الأفكار.

حيث اعتبر ديكارت أن الفكرة التي يدركها العقل بصورة واضحة ومتميزة يمكن اعتبارها يقينية، وهو ما جعله يعتمد على البداهة العقلية والاستنباط المنطقي في بناء المعرفة.

أن المشروع الديكارتي واجه حدودًا وانتقادات فلسفية مهمة.

فعلى الرغم من نجاحه في تأسيس مكانة الذات والعقل في نظرية المعرفة، إلا أن التجريبيين انتقدوا اعتماده الكبير على العقل، مؤكدين أن التجربة الحسية تشكل أساسًا ضروريًا للمعرفة. فقد رفض جون لوك فكرة المعرفة الفطرية، بينما أكد ديفيد هيوم أن المعرفة الإنسانية مرتبطة بالخبرة والانطباعات الحسية (Locke, 1689/1975; Hume, 1739/2000).

أن فلسفة ديكارت أسهمت في إعادة صياغة مشكلة المعرفة في الفلسفة الحديثة.

فقد نقل مركز البحث الفلسفي من دراسة العالم الخارجي فقط إلى دراسة الذات العارفة وشروط إمكان المعرفة، مما جعل العلاقة بين العقل والتجربة إحدى القضايا الرئيسية التي شغلت الفلاسفة بعده.

وبناءً على هذه النتائج، يتضح أن المشروع الديكارتي يمثل محاولة كبرى لتأسيس المعرفة على أساس يقيني، لكنه في الوقت نفسه فتح نقاشًا فلسفيًا واسعًا حول حدود العقل ودور التجربة في بناء المعرفة الإنسانية.

الخاتمة

يتضح من خلال دراسة إشكالية الشك واليقين وإشكالية المعرفة عند ديكارت أن المشروع الفلسفي الديكارتي يمثل محاولة جادة لإعادة بناء المعرفة الإنسانية على أساس يقيني ثابت، بعد أن شكك ديكارت في كثير من المعارف التي كانت سائدة في

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

عصره. فقد جعل من الشك المنهجي نقطة البداية في بحثه عن الحقيقة، حيث لم يكن الشك عنده موقفًا سلبيًا أو إنكارًا لإمكان المعرفة، بل كان وسيلة نقدية تهدف إلى تنقية العقل من الأفكار غير المؤكدة والوصول إلى مبادئ يقينية

وقد بيّنت الدراسة أن ديكارت انتقل عبر مراحل متدرجة من الشك؛ بدأ بالشك في الحواس باعتبارها قابلة للخطأ، ثم انتقل إلى الشك في الأحلام التي كشفت إمكانية الوهم في الإدراك، وصولًا إلى فرضية الشيطان الماكر التي مثلت أقصى درجات الشك. غير أن هذا المسار لم يؤدِّ به إلى رفض المعرفة، بل قاده إلى اكتشاف أول حقيقة يقينية تتمثل في الكوجيتو" :أنا أفكر إذن أنا موجود"، حيث أصبح وجود الذات المفكرة الأساس الأول الذي يمكن بناء المعرفة عليه.

كما أظهرت الدراسة أن ديكارت جعل العقل محورًا أساسيًا في تأسيس المعرفة، إذ اعتبر أن الأفكار الواضحة والمتميزة تمثل معيارًا للحقيقة، وأن العقل قادر على الوصول إلى مبادئ يقينية تتجاوز حدود التجربة الحسية. وقد أدى هذا التصور إلى تأسيس النزعة العقلانية في الفلسفة الحديثة، وإلى تغيير مركز الاهتمام الفلسفي من دراسة الأشياء في ذاتها إلى دراسة الذات العارفة وشروط المعرفة.

ومن خلال تحليل الانتقادات الموجهة إلى المشروع الديكارتي، تبين أن محاولة بناء المعرفة اعتمادًا على العقل وحده لم تكن محل اتفاق بين الفلاسفة؛ فقد اعترض التجريبيون، وعلى رأسهم جون لوك وديفيد هيوم، على فكرة استقلال العقل عن التجربة، مؤكدين أن المعرفة الإنسانية ترتبط ارتباطًا أساسيًا بالخبرة الحسية. فقد رأى لوك أن العقل لا يحتوي على أفكار فطرية، بينما أكد هيوم أن حدود المعرفة لا تتجاوز حدود الانطباعات والتجارب الإنسانية .

وبناءً على ذلك، يمكن الإجابة عن إشكالية البحث بالقول إن ديكارت استطاع بالفعل الانتقال من الشك المنهجي إلى تأسيس نوع من اليقين المعرفي، خاصة من خلال الكوجيتو، لكنه لم ينجح بصورة نهائية في حل جميع مشكلات المعرفة، إذ بقيت العلاقة بين العقل والتجربة مجالًا مفتوحًا للنقاش الفلسفي.

وتكمن أهمية ديكارت في تاريخ الفلسفة في كونه أحد أبرز مؤسسي الفلسفة الحديثة، فقد وضع الذات والعقل في مركز التفكير الفلسفي، وأسهم في تأسيس منهج جديد يقوم على النقد والبحث عن اليقين، مما جعل فلسفته نقطة انطلاق أساسية للنقاشات الكبرى حول طبيعة المعرفة ومصادرها وحدودها.

المراجع

أولاً المراجع العربية:

1.ديكارت، رينيه. (1999). العالم والنور (ترجمة أميل خوري). بيروت: دار المشرق العربي للدراسات والنشر والتوزيع.
2.ديكارت، رينيه. (1985). مقال عن المنهج (ترجمة محمود محمد المصري، ط3). القاهرة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
3.جعفر، عبد الوهاب. (1990). أضواء على الفلسفة الديكارتية. القاهرة: مكتبة الفتح.
4.إسلام، عزمي. (1977). مقدمة في فلسفة العلوم. القاهرة: مكتبة سعيد رأفت.
5.أمين، عثمان. (1969). أعلام الفلسفة: ديكارت. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، دار الطباعة الحديثة.
6.رسل، برتراند. (1977). تاريخ الفلسفة الغربية (ترجمة محمد فتحي الشطي). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
7.زقزوق، محمود حمدي. (1989). المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت (ط2). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
8.الطويل، توفيق. (1990). أسس الفلسفة (ط11). القاهرة: دار النهضة العربية للطبع والنشر.
9.لوقا، نظمي. (1972). الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت. القاهرة: دار الكتب.

ثانياً المراجع العربية:

10.Ariew, R. (2014). Descartes among the scholastics. Brill.
11.Cottingham, J. (1986). Descartes. Basil Blackwell.
12.Descartes, R. (1996). Meditations on first philosophy (J. Cottingham, Trans.). Cambridge University Press. (Original work published 1641)
13.Descartes, R. (1998). Discourse on method and meditations on first philosophy (D. A. Cress, Trans.). Hackett Publishing Company. (Original work published 1637)
14.Hatfield, G. (2003). Routledge philosophy guidebook to Descartes and the Meditations. Routledge.
15.Hume, D. (2000). A treatise of human nature. Oxford University Press. (Original work published 1739)
16.Kenny, A. (1968). Descartes: A study of his philosophy. Random House.

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

17.Locke, J. (1975). An essay concerning human understanding. Oxford University Press. (Original work published 1689)

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **SAJH** and/or the editor(s). **SAJH** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).